



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



.....

.....

نتائج كبت العدوان:

يمكن استقصاء بعض جوانب النتيجة الطبيعية لكبت العدوان كما يلي:

أولاً: تراكمت هذه الغريزة كطاقة مهورة في الإنسان المعاصر، فراححت تستنزف الطاقة البشرية في محاولة إبقائها في حالة كامنة خفية.

ثانياً: استعار العدوان مظاهر غرائز أخرى للتعبير عن نفسه كالتالي (كأمثلة):

(أ) غريزة الجنس: في بعض الأحيان يختلط الجنس بالعدوان، ليس فقط بمعنى السادية، وإنما أصبح السلوك الجنسي في بعض الأحيان تعبيراً عن العدوان، رغم مظهره الجنسي (حالات الاغتصاب المتزايدة، وحالات أخرى من الشذوذ مثل السادية)

(ب) غريزة الجوع: أحياناً لا يتوقف اللتهام عند الشبع (إرواء حاجة الجوع) بل يتمادى حتى ليعبر في بعض الأحيان على نوع من العدوان على الذات والآخرين معاً، مما يذكرنا ببعض أنواع الزواحف والعناكب، (وهو ما صورته في إحدى قصائدي):

أخاف: ألتهم

حسبث أن الثقب سوف يلتئم.

أزاحم الرموز أنتقم.

تعلو جبال موج الرعب والنهم.

في بؤرة الظلام والعدم.

أدوس أشلاء الأجنة، أرتطم.

تختر الوعى المغلف بالغباء والندم،

تمزق النغم. (3)

في بعض الأحيان يختلط الجنس بالعدوان، ليس فقط بمعنى السادية، وإنما أصبح السلوك الجنسي في بعض الأحيان تعبيراً عن العدوان، رغم مظهره الجنسي (حالات الاغتصاب المتزايدة، وحالات أخرى من الشذوذ مثل السادية)

أحياناً لا يتوقف اللتهام عند الشبع (إرواء حاجة الجوع) بل يتمادى حتى ليعبر في بعض الأحيان على نوع من العدوان على الذات والآخرين معاً، مما يذكرنا ببعض أنواع الزواحف والعناكب

ثم نوع من التملك يتزايد حتى يصبح عدواناً، مثل سلوك التخزين Hoarding (مع التذكير بأن التخزين دافع أولي)، بما في ذلك ما فيه من العدوان على الذات (تكاثراً مغترباً) وعلى الآخرين (حرماناً).

23/7/1982

أسقطت ظاهرة العدوان في أشكال فنية أو شبه فنية في

(ج) غريزة التملك: ثم نوع من التملك يتزايد حتى يصبح عدواناً، مثل سلوك التخزين (Hoarding مع التذكرة بأن التخزين دافع أولى)، بما في ذلك ما فيه من العدوان على الذات (تكاثراً مغترباً) وعلى الآخرين (حرماناً).

شكل أفلام العنف والإجرام والكارائيه، وقد تقوم هذه الأشكال بالسماح بالتقمص الذي قد يمتص طاقة العدوان عند المشاهد، أو هو يفجرها في الخفاء عادة.

تزايدت وتنوعت الألعاب الإلكترونية الأحدث التي تبدو أنها تُستعمل كبديل لتفريغ طاقة العدوان بشكل أو بآخر.

ثالثاً: أسقطت ظاهرة العدوان في أشكال فنية أو شبه فنية في شكل أفلام العنف والإجرام والكارائيه، وقد تقوم هذه الأشكال بالسماح بالتقمص الذي قد يمتص طاقة العدوان عند المشاهد، أو هو يفجرها في الخفاء عادة.

رابعاً: تزايدت وتنوعت الألعاب الإلكترونية الأحدث التي تبدو أنها تُستعمل كبديل لتفريغ طاقة العدوان بشكل أو بآخر.

تزايدت وتنوعت الألعاب الإلكترونية الأحدث التي تبدو أنها تُستعمل كبديل لتفريغ طاقة العدوان بشكل أو بآخر.

مظاهر العدوان (الضار) الصريح

حين يفشل كبت العدوان أو استبداله أو إزاحته: يظهر صريحا في صور متعددة، وقد يتخذ ذرائع تبريرية، كما قد يكون مباشرا تسلطيا ظالما، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: تنتجر العدوانية بين الحين والحين في شكل حروب محلية أو عالمية، عادة غير مشروعة ولا مُبررة.

ثانياً: تنتجر الصراعات الطبقيّة، والعنصرية، بكل ما تحمل من حقد وانتقام واستغلال من كل جانب للأخر: الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى (باعتبار هذا الأخير هو الوجه السلبي لعدوان "العبد على السيد" بالإذعان في ديالكتيك هيجل).

حين يفضل كبت العدوان أو استبداله أو إزاحته: يظهر صريحا في صور متعددة، وقد يتخذ ذرائع تبريرية، كما قد يكون مباشرا تسلطيا ظالما.

ثالثاً: قد يأخذ العدوان شكلا لفظيا مباشرا مثل الهجاء، والسخرية، والتتمر والأحكام الفوقية. رابعاً: تتعدد صور العدوان السلبي مثل العدوان بالإهمال أو بالتخلي (حتى ولو كان هذا التخلي تحت الشعار الأحدث: "أنت حر" مثلا) أو في شكل "الرقعة المتفرجة" مما لا مجال لنقصيله هنا. خامساً: هذا فضلا عن العدوان المباشر والمُجرّم في صور جرائم العنف خاصة.

الأهمية البقائية للعدوان:

تتعدد صور العدوان السلبي مثل العدوان بالإهمال أو بالتخلي (حتى ولو كان هذا التخلي تحت الشعار الأحدث: "أنت حر" مثلا) أو في شكل "الرقعة المتفرجة"

إذا كان العدوان بهذه القوة وهذا الإلحاح، في نفس الوقت ليس له إلا أقل قدر من فرص التعبير الإيجابي والمسار البناء، ثم كانت صورته المحوّرة والخفية، وأيضا الصريحة العارية، هي من أخطر ما يمكن تصوره على مسيرة الإنسان عامة، فما هو الموقف المسؤول تجاه كل هذا؟

تجليات العدوان ومحاولات احتوائه:

(1) توجه المهتمون بالأمر (من الإثنولوجيين خاصة) إلى العودة إلى استلهام الحيوانات، نسألهم ماذا فعلوا هم وعجزنا عنه نحن بورطتنا المرعبة، ذلك أن العدوان بين نفس النوع Intraspecies هو أمر شديد الخطر على نوع بذاته، بحيث حاولت أغلب الحيوانات تحقيق غايتها دون ممارسته الى نهايته، أي دون القتل، وقد أثار إريك فروم تساؤلا مزعجا يقول: هل الإنسان نوع واحد؟ حيث عرض احتمال أنه نظرا لاختلاف اللغات والألوان والأوطان، فإنه قد يكون استقبالنا لبعضنا البعض قد وصل إلى اعتبارنا أجناسا متعددة، لا جنسا واحدا كما أن تينبرجن شرح ذلك نصا في قولنا:

أثار إريك فروم تساؤلا مزعجا يقول: هل الإنسان نوع واحد؟ حيث عرض احتمال أنه نظرا لاختلاف اللغات والألوان والأوطان، فإنه قد يكون استقبالنا لبعضنا البعض قد وصل إلى اعتبارنا أجناسا متعددة، لا جنسا واحدا

.. إن القاعدة أن كل الأنواع قد نجحت في تحقيق النصر دون أن يقتل أفرادها بعضهم بعضا، وفي الحقيقة أننا حتى مجرد إسالة الدماء يعتبر حدثا نادرا فيما بينها، والإنسان هو النوع الوحيد الذي يمارس القتل الجماعي، الوحيد ذو الوضع الناشز في مجتمعنا.

إن القاعدة أن كل الأنواع قد نجحت في تحقيق النصر

إن الحيوانات قد حذقت فيما بين أفراد نوعها لعبة الإنذارات والتهديد (فيما يشبه الحرب الباردة) بدرجة

دون أن يقتل أفرادها بعضهم بعضاً، وفي الحقيقة أنه حتى مجرد إسالة الدماء يعتبر حدثاً نادراً فيما بينها. والإنسان هو النوع الوحيد الذي يمارس القتل الجماعي، الوحيد ذو الوضع الناشر في مجتمعه

بالغ البعض في قيمة "إعادة التعليم" كحل ترويضى (حضارى) يستنكر العدوان ويحل محله أساليب أخرى تبدو أكثر إنسانية ورقياً مما يليق بالإنسان، وإن كان هذا الحل يعيد بترويض العدوان وإبداله، فإنه يتجاهل قيمته النقيية الأساسية، إن مثل هذا الحل الذى يقلبها حرباً داخلية قد ينقلب إلى مظهر مرضى لبعض من الاضطرابات النفسية.

ما هو الموقف الحالى تجاه غرائزنا البدائية التى كانت فى صورتها الفجة لازمة لحفظ البقاء الفردى والنوعى معا؟

كيف يتم احتواء مثل هذه الغرائز واستيعابها وتحويلها مع تطور الحياة والأحياء، وكيف يسهم الوعي بذلك على توجيه المسيرة؟

إن الغريزة، باعتبارها سلوكاً أولياً مطبوخاً، ومن ثم موروثاً للنوع كافة، وموروثاً للفرد، مع بعض التفاصيل المختلفة بين الأفراد، هى تنظيم "خلوى نيورونى" قائم بذاته

إن لكل غريزة تعبير بدائى مباشر، كما أن لها فى نفس الوقت، من خلال ارتباطات تنظيمها الحيوى النيورونى والخلوى، تعبيرات محورة تخدم أيضاً المستويات الأعلى

أعفتها من القتال الفعلى أساساً، فضلاً عن قتل أفرادها من نفس الجنس...، وقد درس علماء الحيوان وعلماء الإثنولوجى هذه الإنذارات وتمنى بعضهم أن يحذق الإنسان مثل هذه الإنذارات وما يقابلها من علامات "الإذعان"، وأن يتعلم ترويض العدوان لإحلال التهديد محل القتل، حتى ضربوا مثلاً سطحياً لذلك، وهو الضرب بقبضة اليد على المائدة بدلاً من ضرب الخصم، وشبه بعضهم توجيه المسار هذا بعملية التسامى (أو الإعلاء) التى قال بها فرويد بالنسبة للجنس.

لكن الإعلاء والتسامى - أمل هؤلاء الباحثين- لا يمكن أن يُقبل إلا كمرحلة من مراحل النمو، وحتى فرويد، الذى أعلى من شأن "التسامى" خصوصاً بالنسبة لغريزة الجنس، قد هوجم بشدة لحماسه لتأييد هذا التوجه.

(2) بالغ البعض فى قيمة "إعادة التعليم" كحل ترويضى (حضارى) يستنكر العدوان ويحل محله أساليب أخرى تبدو أكثر إنسانية ورقياً مما يليق بالإنسان، وإن كان هذا الحل يعيد بترويض العدوان وإبداله، فإنه يتجاهل قيمته النقيية الأساسية، إن مثل هذا الحل الذى يقلبها حرباً داخلية قد ينقلب إلى مظهر مرضى لبعض من الاضطرابات النفسية.

ومع التسامح تجاه هذه التمنيات الطيبة !!!، والحذر من أن ينقلب الإنسان على نفسه لمجرد الخوف من الاعتراف بالحقيقة، علينا أن نبحث فى كيفية احتواء الغرائز عامة ومسارها وأولها غريزة العدوان.

احتواء الغرائز ومسارها:

علينا ألا نمل من مواجهة هذين السؤالين:

أولاً: ما هو الموقف الحالى تجاه غرائزنا البدائية التى كانت فى صورتها الفجة لازمة لحفظ البقاء الفردى والنوعى معا؟

ثانياً: كيف يتم احتواء مثل هذه الغرائز واستيعابها وتحويلها مع تطور الحياة والأحياء، وكيف

يسهم الوعي بذلك كلاً فى توجيه المسيرة؟

أبدأ بوضع تصورى للإجابة على هذين السؤالين فى صورة الافتراضات الأساسية للمداخلة الحالية، على الوجه التالى:

1- إن الغريزة، باعتبارها سلوكاً أولياً مطبوخاً، ومن ثم موروثاً للنوع كافة، وموروثاً للفرد، مع بعض التفاصيل المختلفة بين الأفراد، هى تنظيم "خلوى نيورونى" قائم بذاته، كما أنه تنظيم قائم ضمن ارتباطات وتنظيمات أكبر فى نفس الوقت، وهو قابل للبطس unfolding بقدر ما هو قابل للتكامل integration فى الكل الأكبر.

2- إن لكل غريزة تعبير بدائى مباشر، كما أن لها فى نفس الوقت، من خلال ارتباطات تنظيمها

الحيوى النيورونى والخلوى، تعبيرات محورة تخدم أيضاً المستويات الأعلى من الوجود الحيوى للنوع أو الفرد على حد سواء.

3- إن الغريزة لا تظهر فى صورتها البدائية الأولية الفجة تماماً إلا إذا انفصلت عن سائر الغرائز من ناحية، وكذلك إذا انفصلت عن سائر الوظائف الحيوية النفسية من ناحية أخرى.

4- يمر نمو الغريزة على مستوى تطور النوع والفرد معا فى خطوات متتالية تصاحب اتساع دائرتها

وشمول ارتباطاتها، بما يشمل الوعي بها حتى فى صورتها البدائية، وبما يشمل القدرة على تأجيلها وتنظيمها.

5- تتعرض هذه الارتباطات الأشملى للتفكيك المرحلى فى اللحم، أو أزمت النمو، تمهيداً لولاف أعلى

وأشملى، فهى لا تُمضى أبداً بصورتها البدائية إلا فى مرحلة "التكامل القصى" التى تعتبر هدفاً مستمراً متجدداً فى تطور الإنسان الحالى لا أكثر.

6- يستمر نمو الغريزة وتتسع ترابطاتها حتى تصبح قادرة على الالتحام الولا في حركية التكامل الجدلي، سواء كان ذلك مع ما يبدو نقيضها، أو مع صور تجاوزاتها، أو مع الواقع المكتسب من تحويلها.

.....

.....

(ونواصل غداً)

(تابع) غريزة العدوان وتنويعات مسارها

- [1] يحيى الرخاوي، كتاب " الطب النفسي والغرائز (1) " غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و" غريزة العدوان" (من التفكيك إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2022)
- [2] تحديث محدود لمحاضرة " الغريزة الجنسية " ألقيتها في منتدى أبو شادي الروبي (1998/12/15) ضمن نشاط محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة.
- [3] يحيى الرخاوي: ثلاثة دواوين (1981 - 2008)، الديوان الثاني: "شظايا المرايا" قصيدة: "التهام" منشورات جمعية الطب النفسي التطوري، الطبعة الأولى 2018

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD011022.pdf>

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%a6-16/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الويب

22 عاما من الضجيج... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

كتاب " صناد النشيط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AIHassad2021.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

من الوجود الحيوي للنوع أو الفرد على حد سواء

إن الغريزة لا تظهر في صورتها البدائية الأولية الفجة تماما إلا إذا انفصلت عن سائر الغرائز من ناحية، وكذلك إذا انفصلت عن سائر الوظائف الحيوية النفسية من ناحية أخرى.